

مفهومه وصوره وأسبابه وأضراره وعلاجه

جمع

أ. هيفاء عبدالله الرشيد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

نبدأ مستعينين بالله ومتوكلين عليه، سائلينه سبحانه الإخلاص والتوفيق والقبول.

إن المتأمل في واقع مجتمعنا ليُصاب بدهشةٍ بسبب طغيانِ الرفاهيةِ، وقد عُلم من النصوص الشرعية والسنن الكونية؛ أنَّ الترف سبب لفساد الأمم، ومن ثَمَّ هزيمتها وسقوطها.

ومظاهر الترف ظهرت وانتشرت في كل مكان، وهذا أصبح أمراً شائعاً بفعل وسائل الإعلام، وما تبثه من دعوة إلى الترف، أو دعاية عنه، وتحث عليه، بل وتقيس الإنسان بمقدار ثروته، حتى شاع وذاع بين الناس هذا المقياس، وأصبح مقياس الشخص ما معه من مال وما يملك من ثروة.

ونتيجة لما أحدثته الحضارة الصناعية والتقدم التقني الذي نعيشه في الوقت الحالي، والترويج التجاري والدعائي، مع الوفرة المالية لدى الكثير؛ تَبِعَ ذلك توسع في المطاعم، والمشارب، والملابس، والمساكن، وابتكار أنواع الملهيات، واختراع الوسائل العديدة لشغل الأوقات؛ بسبب طبيعة الحياة المدنية المعاصرة، التي يتوفر لأهلها الكثير من أوقات الفراغ، مع الغنى ووفرة الأموال وتنوع النعم ولله الحمد.

وهذه الأمور مع ضعف الوازع الإيماني في نفوس أكثر الناس، وانعدامه عند آخرين، أدى إلى ظهور وانتشار ظاهرة الترف التي تفعل في دين الإنسان وتقواه فعل المخدرات في عقله، حين تشل طاقاته عن

السعي، وتصبها في اللهو واللعب، فكان نتيجة لذلك انتشار الكثير مما نعانيه اليوم من مشكلات نفسية واجتماعية —فضلاً عن الدينية—.

أولاً: ﴿معنى الترف﴾

قال في مختار الصحاح: "(ت ر ف) (أترَفتهُ) النِّعمةُ: أَطغَته"[1].

وفي لسان العرب: "التَرَفُ :التَّنَعُّمُ، والتُرفَةُ: النِّعمَةُ. والتتريف: حسن الغذاء. وصبيٌّ مُترفٌ إذا كان منعَّمَ البدن مدلَّلاً. والمترَفُ: الذي قد أَبطَرَته النعمةُ وسِعَةُ العَيشِ. وأَترَفتهُ النِّعمةُ أي أطغَتهُ. المترَفُ: المتَنَعِّمُ المتَوسِّعُ في مَلاذِّ الدنيا وشهواتها ورجل مُترَفٌ ومُتَرَفٌ: مُوَسَّعٌ عليه"[2].

وجاء في القاموس المحيط: "التُرفَةُ، بالضم، النِّعمَةُ، والطعامُ الطَّيِّبُ. وأترفته النِّعمَةُ: أطغته، أو نَعَّمَتهُ. والمترَفُ، كمُكرَم: المتروكُ يَصنَعُ ما يَشاءُ لا يُمنَعُ، والمتَنَعِّمُ لا يُمنَعُ من تَنَعُّمِهِ، والجَبَّارُ. وتَتَرَّفَ: تَنَعَّمَ واستَترَفَ: تَغتَرَف وطَغَى"[3].

ونلاحظ في معاني الترف ما يلي:

أن التَّرَف: هو التنعم.

والمترف: هو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش، وهو المتروك يصنع ما يشاء لا يُمنَع، وهو أيضاً الجبار، وهو المتوسّع في ملاذ الدنيا وشهواتها.

وأترفَتْهُ النِّعمة: يعني أطغته.

وقد جاء فيما سبق معنىً واحدًا مشتركاً وهو: "أترفته النعمة بمعنى أطغته".

فالترف إذاً هو التنعم والتوسع في العيش والشهوات، حتى أنه قد يصل الأمر عند البعض إلى البغي والطغيان، بل ربما إلى التجبر كما جاء في القاموس المحيط.

---

(١) مختار الصحاح (صـ٤٥).

(٢) لسان العرب (٩/١٧).

(٣) القاموس المحيط (صـ٧٩٤).

ثانياً: ﴿الترف في القرآن الكريم﴾

ورد لفظ الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، كلها على سبيل الذم، فأما ثلاثة مواضع فهي تبين أن من يقف في وجه دعوة الحق ويكذب المرسلين هم المترفون، كما في المواضع التالية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ:٣٤].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون:٣٣].

- وفي موضع واحد يبين عز وجل أن المترفين شغَلَهُم ترفهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦]. حيث بين الله جل وعلا أن هؤلاء المترفين أعرضوا عن إنكار المنكر وإصلاح مجتمعاتهم.

- أما المواضع الأربعة الباقية فيقترن فيها العذاب والهلاك بالترف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:١٢-١٣].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٤-٦٥].

وفي هذه الآيات بيان حال المترفين حين نزول العذاب حين يركضون ويجأرون ولكن ولات حين مناص.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٤١-٤٦].

وفي هذه الآيات بيان من الله تعالى لما يجري للمترفين من الكفار في الآخرة.

ما جاء في تفسير الآيات:

وفيما يلي أنقل تفسير الآيات من تفسير الحافظ ابن كثير وتفسير العلامة ابن سعدي رحمهما الله، ثم أنقل عن زبدة التفسير ما جاء في تفسير (مفردة الترف) باختصار، وربما طال الكلام هنا قليلاً؛ لما فيها من الفوائد والعبر الشيء الكبير، سأذكرها على سبيل الإيجاز قدْر المستطاع.

۞ **الآية الأولى**: قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ **[هود: ١١٦، ١١٧]**.

قال ابن سعدي رحمه الله: "﴿وَ﴾ لكن ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلاً. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب. وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماماً في الدين، إذا جعل عمله خالصاً لرب العالمين"[١].

وفي زبدة التفسير عند قوله تعالى: ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ قال: "آثروا ذلك على الاشتغال بالأعمال الصالحة واستغرقوا أعمارهم بالشهوات"[٢].

۞ **الآية الثانية**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ **[الإسراء:١٦]**.

قال ابن كثير رحمه الله: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ يَقُولُ: سَلَّطْنَا أَشْرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْعَذَابِ"[٣].

---

(١) تفسير السعدي (صـ٣٩١).

(٢) زبدة التفسير (صـ٢٣٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٦٢).

وقال ابن سعدي رحمه الله: "يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة، ويستأصلها بالعذاب، أمر مترفيها، أمراً قدرياً، ففسقوا فيها، واشتد طغيانهم (فحق عليها القول) أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها (فدمرناها تدميراً)"(١).

وفي زبدة التفسير قال: "المترفين هم المنعمون الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش، وهم الجبارون المتسلطون والملوك الجائرون"(٢).

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء:١٠ - ١٥].

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أَيْ: تَيَقَّنُوا أَنَّ الْعَذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ، كَمَا وَعَدَهُمْ نَبِيُّهُمْ، ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أَيْ: يَفِرُّونَ هَارِبِينَ.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ هَذَا تَهَكُّمٌ بِهِمْ قَدَرًا أَيْ: قِيلَ لَهُمْ قَدَرًا: لَا تَرْكُضُوا هَارِبِينَ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ، وَارْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالسُّرُورِ، وَالْمَعِيشَةِ وَالْمَسَاكِنِ الطَّيِّبَةِ.

قَالَ قَتَادَةُ: اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ أَيْ: عَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعْمَةِ.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ أَيْ: مَا زَالَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ، وَهِيَ الِاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ،...حَتَّى حَصَدْنَاهُمْ حَصْدًا وَخَمَدَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ خُمُودًا"(٣).

وقال ابن سعدي رحمه الله: "فقيل لهم على وجه التهكم بهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ أي: لا يفيدكم الركوض والندم، ولكن إن كان لكم اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات، والمشتهيات، ومساكنكم المزخرفات، ودنياكم التي غرتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله. فكونوا فيها متمكنين، وللذاتها جانين، وفي منازلكم مطمئنين معظمين، لعلكم أن تكونوا مقصودين في

(١) تفسير السعدي (ص٤٥٥).
(٢) زبدة التفسير (ص٢٨٣).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/٣٣٤).

أموركم، كما كنتم سابقا، مسئولين من مطالب الدنيا، كحالتكم الأولى، وهيهات، أين الوصول إلى هذا؟ وقد فات الوقت، وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم، وشرفهم ودنياهم، وحضرهم ندمهم وتحسرهم؟"[(١)].

وفي زبدة التفسير عند قوله تعالى: ﴿مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، قال: "أي إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم"[(٢)].

❁ **الآية الرابعة:** قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٤، ٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله: "وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يَعْنِي: حَتَّى إِذَا جَاءَ مُتْرَفِيهِمْ -وَهُمُ السُّعَدَاءُ الْمُنَعَّمُونَ فِي الدُّنْيَا- عذاب اللَّهِ وَبَأْسُهُ وَنِقْمَتُهُ بهم ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ أَيْ: يَصْرُخُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا. وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاص﴾.

وقوله: ﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ أَيْ: لَا يُجِيرُكُمْ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ، سَوَاءٌ جَأَرْتُمْ أَوْ سكتُّم، لَا مَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ وَلَا وَزَرَ لَزِمَ الْأَمْرُ وَوَجَبَ الْعَذَابُ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَكْبَرَ ذُنُوبِهِمْ فَقَالَ: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ أَيْ: إِذَا دُعِيتُمْ أَبَيْتُمْ، وَإِنْ طُلبتم امْتَنَعْتُمْ؛ ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾"[(٣)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أي متنعميهم الذين ما اعتادوا إلا الترف والرفاهية والنعيم ولم تحصل لهم المكاره فإذا أخذناهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ ووجدوا مسه ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون ويتوجعون لأنه أصابهم أمر خالف ما هم عليه ويستغيثون فيقال لهم ﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ﴾ وإذا لم تأتهم النصرة من الله وانقطع عنهم الغوث من جانبه لم يستطيعوا نصر أنفسهم ولم ينصرهم أحد"[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي (صـ٥٢٠).

(٢) زبدة التفسير (صـ٣٢٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٤٨٢).

(٤) تفسير السعدي (صـ٥٥٤).

وفي زبدة التفسير عند قوله: ﴿مُتْرَفِيهِمْ﴾، قال: "المتنعمين منهم"[1].

۞ **الآية الخامسة:** قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٤-٣٩].

قال ابن كثير رحمه الله: "وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أَيْ: نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، وَهُمْ أُولُو النِّعْمَةِ وَالْحِشْمَةِ وَالثَّرْوَةِ والرياسة. قال قتادة: هم جَبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم فِي الشَّرِّ. ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أَيْ: لَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَتَّبِعُهُ" إلى أن قال: وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمُتْرَفِينَ الْمُكَذِّبِينَ: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَيِ: افْتَخَرُوا بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ وَاعْتِنَائِهِ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُعْطِيَهُمْ هَذَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَهَيْهَاتَ لَهُمْ ذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. وَقَالَ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.﴾. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ صَاحِبِ تَيْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ: أَنَّهُ كَانَ ذَا مَالٍ وَوَلَدٍ وَثَمَرٍ، ثُمَّ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ شَيْئًا، بَلْ سُلب ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أَيْ: يُعْطِي الْمَالَ لِمَنْ يُحِبُّ ومَنْ لَا يُحِبُّ، فَيُفْقِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُغْنِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ الْقَاطِعَةُ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ أَيْ: لَيْسَتْ هَذِهِ دَلِيلًا عَلَى مَحَبَّتِنَا لَكُمْ، وَلَا اعْتِنَائِنَا بِكُمْ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا كَثِير، حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِن اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ

---

(١) زبدة التفسير (ص٣٤٦).

وَأَعْمَالِكُمْ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَان، بِهِ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أَيْ: إِنَّمَا يُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أَيْ: تُضَاعِفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ أَيْ: فِي مَنَازِلِ الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ آمَنُونَ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ وَخَوْفٍ وَأَذًى، وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ يُحْذَر مِنْهُ"(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، قال ابن سعدي رحمه الله: "يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل، أنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ﷺ، وأن الله إذا أرسل رسولا في قرية من القرى، كفر به مترفوها، وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها"(٢).

وفي زبدة التفسير عند قوله تعالى: ﴿مُتْرَفُوهَا﴾، قال: "أغنياؤها وجبابرتها قادة الشر"(٣).

۞ **الآية السادسة:** قال تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢١-٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: "...ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ مَقَالَةَ هَؤُلَاءِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالُوا مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أَيْ: وَلَوْ عَلِمُوا وَتَيَقَّنُوا صِحَّةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، لَمَا انْقَادُوا لِذَلِكَ بِسُوءِ قَصْدِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أَيْ: مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا فَصَّلَهُ تَعَالَى فِي قَصَصِهِمْ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾؟ أَيْ: كَيْفَ بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٥٢١-٥٢٢).

(٢) تفسير السعدي (صـ٦٨١).

(٣) زبدة التفسير (صـ٤٣٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٢٢٤).

وقال ابن سعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: "أي: منعموها، وملؤها الذين أطغتهم الدنيا، وغرتهم الأموال، واستكبروا على الحق. ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول من قال هذه المقالة، وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل"[1].

وفي زبدة التفسير عند قوله ﴿مُتْرَفُوهَا﴾، قال: "وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر وترك التفكر فيما احتوته الرسالة"[2].

۞ **الآية السابعة**: قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ **[الواقعة:٤١-٥٠]**.

قال ابن كثير رحمه الله: "لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، عَطَفَ عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، فَقَالَ: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ هُمْ فِيهِ أَصْحَابُ الشِّمَالِ؟ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿فِي سَمُومٍ﴾ وَهُوَ: الْهَوَاءُ الْحَارُّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وَهُوَ: الْمَاءُ الْحَارُّ.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ظِلُّ الدُّخَانِ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَة، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرُهُمْ. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ. انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ. لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ. إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ. كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ وَهُوَ الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أَيْ: لَيْسَ طَيِّبَ الْهُبُوبِ وَلَا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ أَيْ: وَلَا كَرِيمِ الْمَنْظَرِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كُلُّ شَرَابٍ لَيْسَ بِعَذْبٍ فَلَيْسَ بِكَرِيمٍ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْعَرَبُ تَتْبَعُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي النَّفْيِ، فَيَقُولُونَ: "هَذَا الطَّعَامُ لَيْسَ بِطَيِّبٍ وَلَا كَرِيمٍ، هَذَا اللَّحْمُ لَيْسَ بِسَمِينٍ وَلَا كَرِيمٍ، وَهَذِهِ الدَّارُ لَيْسَتْ بِنَظِيفَةٍ وَلَا كَرِيمَةٍ".

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٦٤).

(٢) زبدة التفسير (ص٤٩١).

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى اسْتِحْقَاقَهُمْ لِذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أَيْ: كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مُنَعَّمِينَ مُقْبِلِينَ عَلَى لَذَّاتِ أَنْفُسِهِمْ، لَا يَلْوُونَ عَلَى مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ أَيْ: يُصَمِّمون وَلَا يَنْوُونَ تَوْبَةً ﴿عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ، وَجَعْلُ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ الشِّرْكُ"[1].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "المراد بأصحاب الشمال هم: أصحاب النار، والأعمال المشئومة. فذكر الله لهم من العقاب، ما هم حقيقون به، فأخبر أنهم ﴿فِي سَمُومٍ﴾ أي: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، وتقلقهم أشد القلق، ﴿وَحَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار يقطع أمعاءهم. ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي: لهب نار، يختلط بدخان. ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: لا برد فيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لضده.

ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: قد ألهتهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعموا وتمتعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: وكانوا يفعلون الذنوب الكبار ولا يتوبون منها، ولا يندمون عليها، بل يصرون على ما يسخط مولاهم، فقدموا عليه بأوزار كثيرة غير مغفورة"[2].

وفي الزبدة عند قوله: ﴿مُتْرَفِينَ﴾، قال: "أي منعمين بما لا يحل لهم"[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٣٨/٧).

(٢) تفسير السعدي (صـ٨٣٤).

(٣) زبدة التفسير (صـ٥٣٥).

ثالثاً: ﴿من صور الترف المذموم﴾

في حياتنا المعاصرة توجد صور مختلفة للترف، منها على سبيل المثال:

١- اشتغال كثير من الناس بالكماليات، كماليات بأغلى الأثمان والأسعار من زينات البيوت، وكماليات بأغلى الأثمان لتزيين السيارات، وإكسسوارات بأثمان تتزايد لتجميل الجوالات، بدأت الجوالات حاجة وصارت اليوم مظهرًا واضحًا من مظاهر الترف، مع الزوج والزوجة والشاب والفتاة، بل وحتى الأطفال، تجارة الجوالات غدت كأنها بيع للسلع الضرورية، وأسعار خيالية لبعض الأنواع، والتي يسارع كثير من الناس لشرائها، وربما على حساب بعض الواجبات اللازمة في حياتهم، لكن لأجل المظاهر الكاذبة أصبح الكثير من الناس يهتمون بتزيين الظاهر ويهملون الباطن، حتى أصبح الإيمان في الداخل هش، مع أنهم يعلمون أنَّ الله ينظر إلى القلوب والأعمال، وفي هذا يقول ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١)، ووالله لو اعتنى الناس ببواطنهم مثل ما اعتنوا بظواهرهم لكانوا على خير عظيم.

٢- إن من صور الترف ما يحدث في كثير من الأعراس من ولائم ممتدة، مصيرها إلى براميل القمامة، غرف نوم مبهرجة، بل حمامات مزركشة بقطع الرخام والزجاج المعكوف، والمبالغة في الملابس والحلي، بل حتى في فناجين الشاي، وسنسأل والله عنها يوم القيامة، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ **[سورة التكاثر:٨]**. كان الحسن وقتادة رحمهما الله يقولان: "ثَلَاثٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُنَّ ابْنُ آدَمَ، وَمَا خَلَاهُنَّ فِيهِ الْمَسْأَلَةُ وَالْحِسَابُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ: كِسْوَةٌ يُوَارِي بِهَا سَوْءَتَهُ، وَكِسْرَةٌ يَشُدُّ بِهَا صُلْبَهُ، وَبَيْتٌ يُظِلُّهُ"(٢)، فأعدوا لما بعد هذه الثلاثة جوابًا يا معاشر المترفين.

٣- إن من صور الترف التي تقض المضاجع: مظاهر شباب الأمة التافه، وترف الاهتمامات، فقضوا جُلَّ أوقاتهم في متابعة المباريات ودوريات كرة الطائرة والقدم للكبار والصغار والناشئين المحلية والعربية والعالمية!! ومتابعة أخبار الفنانين والبحث عن آخر إصداراتهم العفنة أولاً بأول، وترف في الاعتناء بالجسد ودهانه والاهتمام بالشعر وتسريحه؛ حتى كأن بعض شبابنا هم النساء، بحثًا عن آخر الموضات، وجريًا وراء الصرعات، حتى صار بعض شبابنا يخدشه الهواء ويشتكي خشونة الماء!!

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٦١٠).

عن أبي أمامة ﷺ قال: ذكر أصحابُ رسول الله ﷺ يوماً عنده الدُّنيا، فقال رسولُ الله ﷺ: «ألا تَسْمَعُونَ، ألا تَسْمَعُونَ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمانِ، إن البذَاذَة مِنَ الإيمان»[1].

والبذاذة: ترك الترفه وإدامة التزين والتنعم في البدن والملبس تواضعًا وزهدًا لله.

٤- اهتمام كثير من الناس بالمأكل والمشرب، أصناف من الطعام والشراب، وتفنن في صنع الوجبات، تجد على طاولة الطعام العديد من الأصناف الزائدة عن الحاجة، والتي ما وضعت إلا لتزيين الطاولة كما يقال، وفي مقابل هذا نجد بعض المسلمين في بلدان أخرى لا يجدون ما يأكلونه! وهذا ترفٌ مستشري في مجتمعنا، الإكثار من المطعومات كمًّا ونوعًا، السكر والكوليسترول ما انتشر إلا بسبب الإسراف في الطعام والشراب، وقد روى البخاري في صحيحه[2] معلقًا بصيغة الجزم، قال: قال صلى الله عليه وسلم: «كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ»، وروى أيضًا بصيغة الجزم قال: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** ﷺ: "كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ"[3].

وكذلك الإسراف في استعمال الماء، وهذا الأمر صوره كثيرة جداً في مجتمعاتنا، فنجد الإسراف في استعمال الماء في الاستحمام، ويهدر فيه الكثير من الماء، وأيضاً الإسراف في ريّ المزروعات والأشجار، وكذلك تعبئة المسابح بالماء بشكل يومي، وهذه تستهلك الكثير من الماء، ولا ننسى الجاكوزي الذي يكاد أن يصبح أساسي في كل منزل.

والرسول ﷺ كان يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ"[4].

قال ابن باز رحمه الله: "فالمؤمن مأمور بالاقتصاد في كل شيء، منهي عن الإسراف في كل شيء، حتى الماء، حتى في الوضوء والغسل يقتصد"[5]. فإذا كان الاقتصاد بالماء واجب فيما هو واجب، فكيف بما هو من الكماليات؟!

٥- وبسبب الترف في المجتمع ابتلوا بأمر عظيم؛ بالسرف في الأوقات، فكم من أوقات يضيعها المرء دون فائدة، أوقات تهدر في الأسواق والمشاوير، ساعات متواصلة في السوق لشراء بعض الحاجات الكمالية، وساعات الليل التي تضيع في سهر لا منفعة فيه ولا فائدة، وهذه الأوقات لو صُرفتْ في طاعة الله سبحانه وتعالى لكان الحال غير هذا الحال. الإسراف في الوقت فيه مضرة أكثر من الإسراف في المال،

---

(١) رواه أبو داود في سننه، وابن ماجه في سننه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) (٧/١٤٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) متفق عليه.

(٥) من فتاوى الشيخ رحمه الله في موقعه.

والسبب في أن المال يمكن تعويضه من تجارة رابحة أو من مشروع عمل، أما الوقت الذي يمضي ومضى لا يمكن تعويضه، سرعة مضي الأيام والشهور مخيفة، والعاقل هو من يستغل الأيام بشيء نافع.

قال ابن القيم رحمه الله: "إِضَاعَة الْوَقْت أَشد من الْمَوْت"[(١)].

(١) الفوائد لابن القيم (صـ٣١).

رابعاً: ﴿أسباب الترف﴾

أما أسباب الترف فكثيرة، منها:

١- طول الأمل ونسيان الموت: قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، فإياك إياك وطول الأمل، خذ بوصية نبيك ﷺ، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"[١].

ودَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي ذَرٍّ فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيْنَ مَتَاعُكُمْ؟ قَالَ: "إِنَّ لَنَا بَيْتًا نُوَجِّهُ إِلَيْهِ صَالِحَ مَتَاعِنَا" قَالَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مَتَاعٍ مَا دُمْتَ هَا هُنَا، قَالَ: "إِنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ لَا يَدَعُنَا فِيهِ"[٢].

٢- كثرة المال ووفرة النعم: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:٦-٧]، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ أُتِيَ بِجَوَارِشَ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟" قَالُوا: هَذَا يَهْضِمُ الطَّعَامَ، قَالَ: "إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَيَّ الشَّهْرُ مَا أَشْبَعُ فِيهِ، فَمَا أَصْنَعُ بِهَذَا؟"[٣].

٣- حب التقليد وضغوط العادات: فيحاكي غيره في الخطأ، ويزيد الإثم إثمًا، ظنَّ أنه ينجو لأنه لم يكن الأول، وليسألن كلٌ منا عن ذنبه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠١٦٨).

(٣) الزهد لأبي داود برقم (٢٩٥).

خامساً: ﴿أضرار الترف على الفرد والمجتمع﴾

أخواتي: للترف أضرار جسيمة وعواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، وتعدى ضررها الإنسانَ إلى الحيوان والجماد، ومن هذه الأضرار ما ورد بيانه والتحذير منه في كتاب ربنا عز وجل أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم صراحة، ومنها ما جاءت الإشارة إليه في الكتاب والسنة أو كليهما.

١- المسارعة في تكذيب الرسل ورد دعوتهم:

من عادة المترفين لما يفعله فيهم الترف من بطر النعمة وانغماس في الملذات والشهوات؛ أنهم يسارعون قبل غيرهم في تكذيب رسل الله ورد الحق الذي جاؤوا به، استدلالاً باطلاً بما هم عليه من كثرة المال والأولاد وسعة الجاه والسلطان، وكثرة الأتباع وعلو منزلتهم عند الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٣٤-٣٦]، فهذه الآيات الكريمة تبين موقف المترفين من رسل الله وهي تكذيبهم لهم ورد ما جاؤوا به من ربهم تعالى، فلم يبعث الله رسولاً في قرية إلا كذبه مترفوها وهم أولو النعمة والثروة والرياسة.

٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المترفون لايهتمون إلا بملاذ الدنيا وشهواتها وجمع المال لذلك، ولا يهمهم ما يكون في الناس من منكرات، فهي لا تقلقهم، ولا ينهون عنها؛ لأن انشغالهم واهتمامهم بما يجلب لهم الملذات فقط، ولو كان ذلك على حساب الآخرة ونعيمها، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ [هود:١١٦]، أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي عن المنكرات، أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما اهتموا بالتنعم والترف، والانغماس في الشهوات، والتطلع إلى الرياسة والسعي لها، وجمع الثروة وطلب أسباب العيش الهانئ، ورفضوا ما وراء ذلك مما ينفعهم في الآخرة ونبذوه وراء ظهرهم.

٣- المترفين سبب هلاكهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦]، وجاء في تفسيرها: وإذا دنا وقت هلاكها أمرنا مترفيها -أي متنعميها وجباريها وملوكها- بالطاعة ففسقوا فيها فحق عليها القول فأهلكناها وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الجميع لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وما وقع من سواهم إنما وقع بإتباعهم وإغوائهم، فكان توجه الأمر إليهم آكد.

٤- الترف سبب في ردّ سنة النبي ﷺ:

وهذا فرع عن رد الحق وتكذيبه، والناظر لأحوال المترفين يرى منهم بُغضةً لبعض السنن، إذ يرونها ثقيلة عليهم، وهم لا يحبون متابعة سنة النبي ﷺ؛ لأنها تضيق عليهم الكثير مما يحبونه؛ لما ورد فيها من تفصيل للمحرمات، وبيان للقرآن، وتفصيلاً لأمور يحبون ألا تذاع من السنة المطهرة؛ لأنها تُضيِّق عليهم الكثير مما وسعوه على أنفسهم.

عن المقدام بن مَعْدي كَرِبَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حَرَامٍ فحَرِّمُوه»(١).

والشاهد في الحديث أن هذا الرجل متكئ ممتلئ بطنه لم يحترم حديث النبي ﷺ ولم يوقره، وإنما ردّه بكل صفاقة.

٥- الترف سبب الزيغ بعد الهدى:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»(٢)، وقوله: (إلا هيه): هي ضمير الدنيا، والهاء في آخره للسكت، أي: لا يميل قلب أحدكم إلا الدنيا.

فالنبي ﷺ يكاد يحصر سبب الزيغ في انفتاح الدنيا وكثرة الأموال، وقد مرّ أنه ﷺ كان يخشى على أمته أن تبسط لهم الدنيا فيتسبب ذلك في إلهائهم عن دينهم لانشغالهم بالشهوات والتوسع في الملذات مما

---

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٤٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٨٨).

يؤدي إلى صرفهم عن غايتهم التي خُلقوا لأجلها وهي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وأعظم الخطر في ذلك أن تتوغل الدنيا في قلوبهم فتصرفهم عن محبة لقاء ربهم، الإقبال على الدنيا والانصراف إليها، وجعلها أكبر همهم ومبلغ علمهم، وما ضر الناس اليوم –أعني غالبهم– إلا هذا الأمر، حيث أكبوا على الدنيا، وجعلوها أكبر همهم، وفضلوها على آخرتهم التي فيها نجاتهم، قال بشر بن الحارث رحمه الله: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ الدُّنْيَا إِلاَّ لَمْ يُحِبَّ المَوْتَ، وَمَنْ زَهِدَ فِيْهَا، أَحَبَّ لِقَاءَ مَوْلاَهُ"(١).

٦- الترف سبب للطغيان والتكبر:

فكلما زاد ثراء المرء وماله كان ذلك –غالباً– مظنة لطغيانه، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق:٦-٧]، فيأخذ هذا المسكين ينشغل في شهواته ويتوسع في ملذاته حتى ينسى ما خلق له، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآيتين: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ ذُو فَرَحٍ وَأَشَرٍ وَبَطَرٍ وَطُغْيَانٍ، إِذَا رَأَى نَفْسَهُ قَدِ اسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَالُه"(٢).

٧- المترفون في نهمهم لا يشبعون، شعارهم: هل من مزيد؟

من طبيعة الإنسان أنه لا يملّ من الزيادة في الخير، وكلما ازداد ماله ازداد أمله وطمع في الزيادة، والمترف لسان حاله: هل من مزيد؟ ليشبع شهوته، فلا يبالي من أين اكتسب المال، وإنما همُّه أن يتوسع في شهواته، فلذلك يسعى لجمع المال من كل طريق.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»(٣).

والترف يقود إلى الفجور وترك فرائض الله عز وجل، ولعله لهذا السبب خشي علينا النبي صلى الله عليه وسلم الغنى، كما جاء في صحيح البخاري(٤): «وَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ».

فلا يزال الإنسان في طلب الزيادة في الدنيا والمنافسة فيها حتى تلهيه عن غايته التي خلق من أجلها، ثم: هل من جديد؟ وهل من مزيد؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٦/١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٧/٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٣٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٢٥).

وقد استغلت الشركات التجارية والتجار هذه الحاجة لدى الإنسان، فيغيرون في طريقة عرض السلعة وتجديد موديلاتها ليُقْبِلَ الناسُ -لا سيما المترفين عليها- على شرائها، كالسيارات وموديلاتها، والجوالات وأشكالها، حتى قامت على هذا شركات متخصصة في فن الدعاية والترويج التجاري، والطامة أنهم استخدموا المرأة كسلعة تجارية، تعرض في الإعلانات للترويج لمنتجات مختلفة، وإغراء الجمهور بالخدمات المقدمة.

٨- الترف سبب في ظاهرة التباهي والتكاثر بالأموال:

وهذه صفة ملازمة لابن آدم، حيث يكاثر ويباهي الآخرين بماله وولده، قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

وصفة التكاثر بالأموال والتباهي بها؛ من أهم صفات المترفين التي تطغى على المجتمع، فيصبح همّ الناس عدّ ثروة فلان وفلان من المترفين، وربما يصدهم ذلك عن الحق كما في قصة قارون، حيث انشغلت طائفة من الناس في عدّ ثروة قارون وتمني ما هو فيه، حتى جاءهم الحق وهم في ذلك.

عن عَبْدِاللهِ بن الشِّخِّيرِ ﵁ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»[١].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٣٤٤).

سادساً: ﴿نتائج الترف﴾

من نتائج الترف:

١- الغفلة عن العمل الصالح والدار الآخرة؛ لأن المال يطغي، والصحة والفتوة تلهي، والجاه والشرف ينسي، قد قالها الأعراب الذين تخلفوا عن العمل الصالح: ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ [الفتح:١١].

٢- الصراع على المكاسب، الصراع على المال، الصراع على الأرض، الصراع على الجاه والسلطة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ»[١].

٣- أن الترفه والتنعم من أسباب قسوة القلب ونسيان الآخرة؛ ولذا فأهل التنعم هم شرار هذه الأمة، وقد روى البيهقي في الشعب[٢] عن فاطمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا فِي النَّعِيمِ».

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٢).

(٢) شعب الإيمان برقم (٥٢٨١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٧٠٥).

سابعاً: ﴿من نماذج المترفين في القرآن الكريم﴾

أهلك الله عز وجل أمماً وأقواماً وقروناً وأجيالاً، كانوا أشد منّا قوة وأطول أعماراً وأرغد عيشاً وأكثر أموالاً، فاستأصلهم الله عز وجل وأبادهم ولم يبق لهم ذكر ولا أثر، وتركوا ورائهم قصوراً مشيدة، وآباراً معطلة، وزروعاً مثمرة، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وأورث كل ذلك قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج:٤٥].

ومن سنة الله تعالى الكونية التي يسلكها مع عباده المنحرفين، أنه يهلكهم ويبيدهم ويستأصلهم ثم يستبدل بهم قوماً آخرين، قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٣٣].

وقد أخبرنا ربنا عز وجل عن قصص بعض المترفين في كتابه الكريم، وكيف صنع بهم ليكونوا عبرةً وعظةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ومن هؤلاء:

❖ صاحب الجنتين:

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف:٣٤-٣٧].

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴾ وَذَلِكَ اغْتِرَارٌ مِنْهُ، لَمَّا رَأَى فِيهَا مِنَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ فِي جَوَانِبِهَا وَأَرْجَائِهَا، ظَنَّ أَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَفْرَغُ وَلَا تَهْلَكُ وَلَا تُتْلَفُ؛ وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عَقْلِهِ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ بِاللَّهِ، وَإِعْجَابِهِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَكُفْرِهِ بِالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أَيْ: كَائِنَةً، ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أَيْ: وَلَئِنْ كَانَ مَعَادٌ وَرَجْعَةٌ وَمَرَدٌّ إِلَى اللَّهِ، لِيكونَنّ لِي هُنَاكَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا لِأَنِّي مُحظى عِنْدَ رَبِّي، وَلَوْلَا كَرَامَتِي عَلَيْهِ مَا أَعْطَانِي هَذَا"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (١٥٨/٥).

فكانت عاقبة هذا المترف المتكبر أن دمّر الله عز وجل عليه جنته من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ [الكهف:٤٢]. نعوذ بالله من سخطه.

❖ قارون:

وهل كانت فتنة قارون وكفره إلا بسبب ثرائه وترفه الشديد حتى دعاه هذا الغنى إلى أن ينسب الفضل إلى نفسه حين قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾؟

قال ابن كثير رحمه الله: "قَالَ قَتَادَةُ: ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾: عَلَى خَيْرٍ عِنْدِي. وَقَالَ السُّدِّيُّ: عَلَى عِلْمٍ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ.

فكان اغترار قارون سبب في هلاكه كما قصَّهُ الله عز وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص:٧٩-٨٢].

واعلم أن هذا الهلاك والعقاب ليس مختصاً بالأفراد كصاحب الجنتين وقارون؛ بل هو عام شامل للأمم إذا أبطرتها النعم، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

هذه بعض النماذج التي وردت في القرآن من قصص المترفين الذين أطغتهم النعمة فكفروا بأنعم الله، وكان ابتلاؤهم بالنعمة سبباً في كفرهم وعتوهم عن أمر الله، وظنوا بأنفسهم خيراً، وأن الله عز وجل إنما وسع عليهم وأنعم عليهم لفضلهم ولمكانتهم عند الله، وهذا الظن هو الذي أوردهم المهالك.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨].

ثامناً: ﴿علاج الترف﴾

الترف مرض نفسي خطير، ولكل مرضٍ علاج، يدل على ذلك قول النبي ﷺ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1]، ويتلخص علاج الترف في ما يلي:

١- الإيمان:

إن أعظم دواء يُداوى به داء الترف هو الإيمان، فإنه لم يخالط قلب مترفٍ إلا وشفاه من الترف، وهو أعظم شفاء، وذلك أن الترف إنما هو إتباع للشهوات وتوسع في الملذات، نتيجة للغفلة عن الآخرة وعن الغاية التي خلق لها ابن آدم، فتظلم حياته وقلبه حتى إذا أشرقت أنوار الإيمان والهداية؛ غسلت أدران الشهوات، وبدلت مكان السيئات الحسنات.

ولنا أكبر برهان في قصة إسلام مصعب بن عمير رضي الله عنه وتحول حاله من أنعم فتىً في قريش حتى كان يضرب بنعومته المثل في ذلك، حتى إنهم ليعرفون الطريق التي مرّ فيها من ريح طيبه، فلما أسلم تحول همه من إتباع الملذات إلى غاية عظمى، والتي هي إرضاء الله عز وجل، حتى خرج من الدنيا كلها، وترك لذاتها من أجل دينه، وبينما كان ذلك الشاب المترف الذي يبدل ثيابه في كل يوم مرات؛ إذا به يموت في سبيل ربه شهيداً في أحد ولم يجدوا له ما يكفنونه به إلا شملةً قصيرة، إن غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطوا بها رجلاه بدا رأسه، لكنه مضى راضياً مرضياً عليه بإذن ربه تعالى، قال عز من قائل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهذا عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى، الذي كان يضرب في تنعمه المثل، وقد جاء في وصفه أيام شبابه أنه أبيض ممتلئ، فلما تولى الخلافة قال واصفه: صار شاحباً -لقلة أكله-، يُحدِّث عنه رباح بن عبيدة أنه أرسله في شبابه ليشتري له ثياباً من خزٍ-نوع من الحرير- فلما لبسها قال: "يَا رَبَاحُ مَا أَجْوَدَ ثَوْبَيْكَ لَوْلَا خُشُونَةٌ فِيهِمَا"، فلما كان بعد تزهده أرسله ليجلب له جُباباً هروية -ثياب خشنة- فلما لمسها قال: "يَا رَبَاحُ، مَا أَجْوَدَ ثَوْبَيْكَ لَوْلَا لِينٌ فِيهِمَا"[2].

وما زال هذا شأنه، حتى إنه لما مات وهو خليفة المسلمين لم يكن لديه إلا ثوب واحد، وضرب بزهده المثل. نسأل الله أن يزيدنا إيماناً، ويجدد الإيمان في قلوبنا.

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٠٤).

(٢) حلية الأولياء (٥/٣٢٣).

والإيمان هو تعلق القلب بالله عز وجل، ويقوى ذلك شيئاً فشيئاً حتى تخرج من القلب الشهوات والملذات كلها، حتى إذا اكتمل إيمانه يصبح لا يلتذ إلا بالإيمان بالله عز وجل وطاعته، فيترك الشهوات كلها لله، ولا يشعر بهذا إلا المخلصين الذين تعلق قلبهم بالله سبحانه وتعالى.

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين، وأوليائك المقرَّبين.

٢- الزهد في الدنيا:

الزهد في الدنيا أنفع علاج للترَّف، مع الإيمان بوعد الله وثوابه، ولا يمكن أن يحصل هذا دون مجاهدة من العبد ومكابدة؛ وذلك لأن الإنسان مفطور على حب الشهوات، ونفسه ميَّالة إلى الملذات والراحة والتوسع في دنياه، والزهد في الدنيا شاق في أوله صعب على النفس، لكن في نهايته راحة واطمئنان وحماية لها من الدنيا.

والعجب -أخواتي- كل العجب لمن لا يؤمن بالله واليوم الآخر كيف يترك شهوات الأكل واللعب حفاظاً على صحته وقوامه وبنيته، فيتجنب أنواع الأكل التي قد تضره، ويصبر على الرياضة بأنواعها؛ ليصير جسمه رشيقاً ورياضياً، هذا وهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، لكن لا يستطيع هذا الصبر عن الشهوات ورغبات النفس من يدعي الإيمان بالله واليوم الآخر، والله المستعان.

٣- الرضا بالميسور وعدم التطلع لما عند الآخرين:

يتعرض الإنسان في حياته لمغريات كثيرة جداً، ويرى أشياء لا يستطيع الحصول عليها ولا يمكنه الوصول إليها لأسباب كثيرة، وعند ذلك لابد له من القناعة بما في يده، وعدم الطمع فيما لا يمكنه أن يحصل عليه.

وليعلم أن هذا التطلع راجع أصلاً إلى طبيعة النفس الإنسانية من الرغبة فيما عند الغير، والولع بكل ما ليس لديها، ولعله لهذا السبب أرشد النبي ﷺ إلى أنه ينبغي للمسلم أن ينظر إلى من هو دونه، قال ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(١).

وذلك لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّلَ عليه في الدنيا؛ طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد، وإذا ما نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٣).

٤- ترك بعض المباحات تعويداً للنفس على الصبر:

فيمنع المرء نفسه عن بعض ما تشتهيه من المباحات تدريباً لها على الصبر، حتى لا يجرها ذلك إلى الوقوع في المحرمات.

والتوسع في المباحات يقود إلى الغفلة، وبالتالي يقود إلى الانغماس في الترفه الذي يقود إلى المحرمات.

٥- تذكر الموت:

مما يعين الإنسان على التخلص من داء الترف تذكر الموت والدار الآخرة، وهذا علاج ناجع لمن تعلق قلبه بالدنيا، وقد وصفه لنا نبينا ﷺ بقوله: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: المَوْت، فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ إلاَّ وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، ولاَ فِي سَعَةٍ إلاَّ ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»(١).

قال ابن باز رحمه الله معلقاً على الحديث: "يعني: اجعلوه على بالكم كثيرًا حتى تعدوا العدّة، والهادم: القاطع؛ لأنَّه يقطع اللّذات في الدنيا، ولكنه يُدني من لذَّات الآخرة، ويُقرِّب من لذَّات الآخرة، وأولها ما يحصل له في قبره، ولروحه في الجنة، فهو يقطع لذَّات الدنيا، ولكنه في حقِّ المؤمن ينقله إلى لذَّات الآخرة ولذَّات الجنة وما يحصل فيها من الخير العظيم، فإنَّ روح المؤمن طائرٌ يعلق بشجر الجنة حتى يردَّه الله إلى جسده، كما جاء في الحديث الصَّحيح. فالغفلة عن الموت وعمَّا بعد الموت من أسباب الطُّغيان والفساد والاستمرار في الشَّر، أمَّا تذكر الموت وما بعده فهو من أسباب التَّوبة والإقلاع والاستعداد للآخرة"(٢).

٦- النظر في سيرة النبي ﷺ والصالحين:

قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال عز من قائل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

فمن أراد أن يتخلص من داء الترف فعليه أن يكثر من مطالعة سيرة النبي ﷺ والصالحين من بعده؛ لينظر كيف زهدوا في حطام الدنيا، وعلموا أنه لا يساوي عند الله جناح بعوضة، فارتقت هممهم إلى الغاية السامية؛ وهي رضوان الله والجنة، فأعقبهم ذلك راحة في قلوبهم، وهون عليهم الصبر على الشهوات وفقد الملذات، حتى لقوا ربهم متخففين من الدنيا، فأثابهم بذلك جنة وحريراً، وأورثهم ملكاً كبيراً.

ويا ليت الناس تقرأ هذا الحديث، دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذتَ فِرَاشاً أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فقال: «يا عمر! مالي وَلِلدُّنْيَا؟! وَمَا لِلدُّنْيَا

---

(١) رواه البزار في مسنده برقم (٦٩٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢١١).

(٢) موقع الشيخ رحمه الله.

وَلِي؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثلي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فاستظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً من نهار ثم راح وتركها»[١].

٧- الإقلاع عن الشهوات المحرمة:

لا يستطيع الإنسان أن يتعاطى الأدوية السابقة حتى يقلع عن الشهوات المحرمة، فضلاً عن أن كمال الإيمان والزهد لا يستطيعه من أدمن على المحرمات، فأول المراتب في العلاج: ترك الشهوات المحرمة والاستعاضة عنها بما أباحه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه.

ولترك المحرمات فوائد عظيمة، قال ابن القيم رحمه الله:

"سُبْحَانَ الله رب الْعَالمين، لَو لم يكن فِي ترك الذُّنُوب والمعاصي إِلَّا إِقَامَة الْمُرُوءَة، وصون الْعرض، وَحفظ الجاه، وصيانة المال الَّذِي جعله الله قواماً لمصَالح الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، ومحبة الْخلق، وَجوَاز القَوْل بَينهم، وَصَلَاح المعاش، وراحة الْبدن، وَقُوَّة الْقلب، وَطيب النَّفس، ونعيم الْقلب، وانشراح الصَّدْر، والأمن من مخاوف الْفُسَّاق والفجار، وَقلة الْهم وَالْغَم والحزن، وَعز النَّفس عَن احْتِمَال الذل، وصون نور الْقلب أَن تطفئه ظلمَة الْمعْصِيَة، وَحُصُول الْمخرج لَهُ مِمَّا ضَاقَ على الْفُسَّاق والفجار، وتيسر الرزق عَلَيْهِ من حَيْثُ لَا يحْتَسب، وتيسير مَا عسر على أَرْبَاب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطَّاعَات عَلَيْهِ، وتيسير الْعلم، وَالثنَاء الْحسن فِي النَّاس، وَكَثْرَة الدُّعَاء لَهُ، والحلاوة الَّتِي يكتسبها وَجهه، والمهابة الَّتِي تلقى لَهُ فِي قُلُوب النَّاس، وانتصارهم وحميتهم لَهُ إِذا أوذي وظُلِم، وذبهم عَن عرضه إِذا اغتابه مغتاب، وَسُرْعَة إِجَابَة دُعَائِهِ، وَزَوَال الوحشة الَّتِي بَينه وَبَين الله، وَقرب الْمَلَائِكَة مِنْهُ، وَبعد شياطين الْإِنْس وَالْجِنّ مِنْهُ، وتنافس النَّاس على خدمته وَقَضَاء حَوَائِجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وَعدم خَوفه من الْمَوْت..."[٢].

---

(١) حسنه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان (٩/١٤٠).

(٢) الفوائد لابن القيم (صـ١٥١).

الخاتمة

أخواتي: وفي الختام بارك الله فيكن:

إن هذه الحياة التي يعيشها هؤلاء المترفون ليست إلا زهرة الحياة الدنيا، وهو نعيم زائل.

فعلى المسلم أن يحذر عواقب السرف، وسوء عاقبة الترف.

والترف وإن كان مذموماً من جميع الناس؛ إلا أنه في حق طلبة العلم والدعاة أكثر ذماً، وهذا المرض قد انتشر بين الناس عامتهم وخاصتهم، وقلَّ أن يسلم منه أحد.

وخير الأمور هو التوسط، وعدم الإفراط في ملازمة الطيبات؛ لأن ملازمة الطيبات والمداومة عليها والاستكثار منها يؤدي إلى الترفّه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات.

وبالمقابل: من منع نفسه من جميع الطيبات قد يفضي به إلى التنطع، وهو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة المنهي عنه.

والنعم كثيرة ولله الحمد -نسأل الله أن يديمها-، والعبد مسؤول عن طريقة الحصول على هذه النعم، وعن شكرها بعد ذلك؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]، وأما أول سؤال عن النعيم، فهو السؤال عن نعمة الصحة والماء البارد؛ فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ- أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ»(١).

والنعم لا تدوم ولا تستقر إلا بشكرها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعرفنا بنعمه علينا، وأن يرزقنا شكرها، وأن يديم علينا النعم ما ظهر منها وما بطن، وأن يصلح نيّاتنا وذريّاتنا، وأن يجنبنا مقته وعذابه وأليم عقابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٢٢).

فهرس المحتويات